

تاريخ الاستلام: 2025/01/16 تاريخ القبول: 2025/07/03 تاريخ النشر: 2025/07/30

ابتسام بورشاق *

جامعة 08 ماي 1945 – قالمة (الجزائر)

Email: bourechak.ibtisssem@univ-guelma.dz

الملخص:

إن العلامة بوصفها انعكاسا لمدرجات الأفراد وتصوراتهم عن أنفسهم وعن العالم من حولهم جزء لا يتجزأ من بنية أي مجتمع، فهي موسوعة لحفظ التاريخ والثقافات، ووسيلة لنقل الأفكار والأيدولوجيات، من هذه النقطة بالذات تتبنى أهمية هذه الدراسة التي تعنى بدراسة تجليات العنف والجريمة في العلامة الاجتماعية.

من خلال دراسة سيميائية لنماذج مختارة من صلب المجتمع الجزائري، إضافة إلى ذلك تسلط هذه الدراسة الضوء على السيميائيات الجنائية بوصفها تخصصا بينيا ناشئا يعنى بدراسة العلامة بوصفها دليلا جنائيا يمكن أن يسهم في إثبات تهمة ما أو نفيها.

وقد خلصت دراستنا إلى عدة نتائج من أهمها ضرورة التوعية بخطورة العلامة الاجتماعية وقوة تأثيرها، إضافة إلى ضرورة الاستعانة بالتحليل السيميوجنائي في الميدان القضائي.

الكلمات المفتاحية: العلامة، المجتمع، الجريمة، العنف، السيميائيات الجنائية.

Abstract:

The sign, as a reflection of individuals' perceptions and their views of themselves and the world around them, constitutes an integral part of the structure of any society. It serves as an encyclopedia for preserving history and cultures, and a means of conveying ideas and ideologies.

From this point, the importance of this study emerges, focusing on the manifestations of violence and crime in social signs, through a semiotic study of selected models from the core of Algerian society. Additionally, this study sheds light on forensic semiotics as an emerging interdisciplinary field concerned with studying the sign as forensic evidence that can contribute to proving or disproving a charge.

Our study concluded with several findings, most notably the need to raise awareness about the dangers of social signs and their powerful influence, in addition to the necessity of employing semiotic-forensic analysis in the judicial field.

Keywords: Sign, society, crime, violence, forensic semiotics.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة:

إقترن وجود العلامة بالحاجة إلى التواصل، فمنذ العصور السحيقة استخدم الإنسان العلامات والإشارات الجسدية البسيطة أداة يعبر بها عن حاجياته البيولوجية، أما اللغة التي نتواصل بها اليوم فمن المرجح أنها قد بدأت مع ظهور ما يسمى بـ "الإنسان العاقل" (homo sapiens) الذي يملك القدرة على التفكير وتقديم تفسيرات للعالم من حوله وابتكار أدوات للتأقلم معه، بيد أن هذه اللغة لا تعدو كونها نظاما رمزيا عالي المستوى، ما يؤكد أن رمزية الإنسان تسبق اجتماعيته. وقد أدى اختراق العلامة لصلب الحياة الاجتماعية إلى جعلها جزءا من أنظمتها وأبنيتها، فلا يمكننا أن نتصور مجتمعا يحيا ويتواصل دون استخدام للرمز والعلامة سواء كانت هذه الأخيرة لفظية أم غير لفظية، لأن من مقتضيات العملية التواصلية أحيانا إيصال المعاني بصورة منمقة أو غير مباشرة، عبر استخدام قنوات تناسب هذا النمط من الاتصال، ومن أهم الأسباب التي تجعل المخاطب يلجأ لاستخدام العلامات في خطابه هو تمرير أفكاره بصورة سلسلة للحد الذي لا يشعر فيه المخاطب أنه قد أقحم في عملية تواصلية، ليتمكن بواسطتها من اختراق وعيه والتحكم في مدركاته و توجيه سلوكياته دون أن يعي بأنه قد استجاب لفعل كلامي توجيهي مكتمل الشروط والأركان.

وتتنوع الرسائل التي يرسلها هذا النمط من الخطاب بين إيجابية وسلبية، لكن ما يهمنا في هذه الورقة البحثية هو النوع الثاني، فالعديد من العلامات والرموز تحمل في طياتها دلالات سلبية كالعلامات الدالة على العنف والجريمة التي باتت تشكل خطرا على البنية الاجتماعية والقيم الأخلاقية، فإذا كان القانون قد سن قوانين وعقوبات للحد من الجرائم والآفات الاجتماعية على غرار جرائم السرقة والمخدرات، أو تلك المتعلقة باللغة المباشرة كالسب والقذف والتشهير والتحريض...إلخ، فإن دلالات العنف والجريمة الكامنة في العلامة قد تبدو أكثر تعقيدا وربما خطورة مما

سبق ذكره، وهذا لطبيعة العلامة التي يمكن أن نصفها بالخداعة والمضللة، ما يجعل من الصعب إدراجها ضمن نصوص القانون ومواده.

وقد ظهرت في الأدبيات البحثية مؤخرا مجموعة من الأبحاث-وهي قليلة في حدود بحثنا- تستهدف دراسة العلامة بوصفها دليلا جنائيا يساهم في إثبات تهمة ما أو نفيها ضمن ما اصطلح عليه بتخصص السيميائيات الجنائية، وهذا ما يفتح الباب أمام استخدام التحليل السيميائي للعلامات في الكشف عن خبايا الجرائم وألغازها.

من هنا تتجلى أهمية هذه الدراسة التي نسعى من خلالها إلى إبراز تجليات العنف والتطرف في العلامة الاجتماعية وعلاقته بالجريمة وميلاد تخصص السيميائية الجنائية، ونهدف من خلالها إلى:

- بيان علاقة العلامة بالمجتمع.
- إبراز تجليات العنف والجريمة في العلامات الاجتماعية من خلال تقديم دراسة لنماذج مختلفة.
- إمطة اللثام عن تخصص السيميائيات الجنائية وبيان أهم مفاهيمه وحدوده.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على آليات وإجراءات المنهج السيميائي بوصفه أداة للحفر في الأنساق الدلالية التي تتجاوز تأويل العلامة النصية الأدبية إلى دراسة العلامة بوصفها إحدى تجليات التجربة الإنسانية وتجسيدا لتفاعل الذات مع الوقائع الخارجية. وذلك لتحليل عينة عشوائية من العلامات الاجتماعية (الوشم، اللباس، الاستعارة) بالاستناد إلى مقارنة تشارلز ساندرس بيرس في تحليله للعلامة كمقاربة أساسية لفهم طبيعة هذه العلامات وتحليل وظائفها الدلالية.

في ضوء ما تقدم يمكننا صوغ الإشكالية الآتية:

إلى أي مدى يمكن أن ترتبط العلامة بالعنف والجريمة؟ وبناء على هذه الإشكالية يمكننا طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي طبيعة العلاقة بين العلامة والمجتمع؟
 - ما مدى فاعلية استخدام المنهج السيميائي في تحليل العلامة الاجتماعية؟
 - ما مفهوم السيميائيات الجنائية؟
 - كيف يمكن استثمار التحليل السيميائي للعلامة في التحقيق الجنائي؟
- 2- سوسيولوجية العلامة:

تحيلنا العملية التواصلية إلى فكرة ربط ما هو لغوي أو رمزي بما هو اجتماعي، حيث يعرف الخطاب على أنه الاستعمال الفردي للملكة اللغوية وفق الشروط التي تقتضيها هذه العملية التي تنطلق من الذات وتنبي على الآخر (المجتمع).

يحيلنا هذا الكلام إلى فكرة سوسيرية المنشأ ألا وهي سوسيولوجية الأنظمة التعبيرية بشكل عام واللغوية بشكل خاص، فهو لا يدرك اللغة إلا بوصفها نظام علامات (système de signes) مخزن في العقل الجمعي لأبناء المجال الجغرافي ذاته. وعلى الرغم من أن "فريديناند دو سوسير" (ferdinand de saussure) قد أولى عنايته لدراسة العلامة اللسانية بوصفها أرقى وأهم الأنظمة التعبيرية وأنسبها للدراسة الوصفية إلا أنه اعترف بمشروعية العديد من الأنظمة التواصلية غير اللفظية، وقد كان هذا بمثابة اللبنة الأولى لظهور علم للعلامات أو ما أطلق عليه السيميولوجيا (sémiologie) والذي جعله علما شاملا لكل الأنساق الدالة (لسانية وغير لسانية)، هذه الأنساق التي لا تعرف عن نفسها إلا بوصفها جزءا لا يتجزأ من أنظمة المجتمع الذي تحيا فيه.

وتعد المقولة التي مفادها أن (العالم يمثل أمامنا بوصفه كيانا رمزيا) الأساس الذي بنى عليه "شارل ساندرس بيرس" (peirce) تحديده لمفهوم العلامة، فكل شيء في عالمنا يمكن أن يعرف عن نفسه بوصفه علامة فقط إذا ما أول على أنه كذلك، بما في ذلك الإنسان منثنى هذه العلامة، فنحن نلخص تجاربنا ونحفظها في

علامات تستفز متلقيها وتجبرهم على خوض غمار التجربة التأويلية للكشف عن محتواها الغني بالنظم والشيفرات الثقافية والنفسية والسوسولوجية ، كما أننا نفهم هذه التجارب وندركها وندرك أنفسنا والعالم من حولنا بواسطة العلامة أيضا فهي في تصور بورس "الوجه الآخر لإيوانيات الإدراك، لذا لا يمكن تصور سيميائيات مفصولة عن عملية إدراك الذات وإدراك الانا وإدراك الآخر، إدراك الأنا وإدراك العالم الذي تتحرك فيه هذه الانا" (سعيد بن كراد، 2012، ص86)، فمقدرة الإنسان على الترميز الذي يلخص بواسطته العديد من تجاربه الثقافية والاجتماعية في تشكلات مختلفة من العلامة جعل من تأويل هذه الأخيرة موضوع الدرس السيميائي عند بورس من خلال الانخراط "في صلب الرمزي والثقافي انطلاقا من معان إضافية لها القدرة على التدليل والإحالة على قيم دلالية ممكنة خالقة سياقاتها الخاصة" (عبد الله بريحي، 2010 ص23).

وتؤدي العلامة غير اللفظية دورا لا يقل أهمية عن الدور التي تؤديه العلامة اللفظية في العملية التواصلية أين يستعين المتكلم برموز وعلامات يوظفها إلى جانب الملفوظ اللساني لإتمام مقاصده وغاياته من الفعل الخطابي، بل وفي أحيان كثيرة يستخدم الإشارات مستقلة لإنتاج خطابات يتفاعل بها داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، فيؤثر فيه بواسطتها ويحيل إلى المنظومة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي تضم مجموعة الأفراد الذين تربطهم جملة من القيم والأفكار والمعتقدات الدينية والأخلاقية والسياسية فنحن " نحيا داخل أكوان من العلامات الاجتماعية، فتشعنا إليها لكن دون أن نفكر فيها" (محسن بوعزيزي، 2010 ص86)، حيث "يتواصل البشر أكثر من ثلثي أفكارهم ومشاعرهم من خلال الجسد وليس من خلال اللغة الصوتية، وذلك باستخدام ما يصل إلى 700000 إشارة جسدية، بما في ذلك 1000 وضعية مختلفة و5000 إيماءة يدوية، وأكثر من 250000 تعبير وجه" (marcel

(danesi,2014,p30)ولا يقتصر التواصل الإشاري على التعبيرات الجسدية فقط، فهناك العديد من العلامات غير اللفظية التي يستعين بها الأفراد في العملية التواصلية، على غرار الصور الفتوغرافية والوشوم والأزياء واللافتات واللوحات الفنية إضافة إلى الرموز اللسانية كالأساطير والاستعارات التي تستحيل علامات أيقونية تعيد تجسيد الواقع وفق وعي ومدركات مستخدميها.

فللشعراء رموزهم وعلاماتهم التي تحمل دلالات عميقة تعكس أسى درجات الوعي بالمجتمع والعالم من حولهم، ولرجال الدين والسياسة رموزهم التي يستعينون بها في التأثير على جماهيرهم، وللطبقات الاجتماعية علاماتها التي تستحيل هوية تفصح عن للمنتمين إليها، وللجنوسة على اختلاف درجاتها (من الاعتدال إلى التطرف) علامات تجسد تصوراتها ومبادئها... وما إلى ذلك من العلامات التي تعبر عن رمزية الكائن الاجتماعي وميله إلى نحت تجاربه في شكل علامات تضيء على حياته التواصلية نوعاً من الوعي والعمق، والغموض.

3- العنف الرمزي وعلاقته بالجريمة والتطرف:

يعد علامة كل ما وجد أو وضع للنيابة عن شيء ما في هذا العالم بفعل الطبيعة أو بفعل التواضع والاصطلاح ليحيل إلى موضوع ما بصورة غير مباشرة جعلت من الكيان (علامة) بشقّي تجلياته وفي مختلف (marcel danesi,2014,p30) المجتمعات ملاذاً للعديد من الأفراد للتعبير عن حاجياتهم ورغباتهم التي يابون التعبير عنها بشكل مباشر لأي سبب من الأسباب، ولذلك ارتبط مفهوم العلامة لدى "إمبرتو إيكو" (umberto eco) بمفهوم الكذب والخداع حيث يرى السيميائي الإيطالي أنه "في كل مرة يكون هناك احتمال للكذب هناك وظيفة إشارة" (marcel danesi,2014,p30) وإضافة إلى مفهوم الكذب والاحتيال قد تقترن العلامة أيضاً بدلالات العنف والتطرف والجريمة، فالعديد من العلامات اللفظية وغير اللفظية تحمل في دلالاتها ميولاً إجرامية وتفكيراً غير سوي لمستخدميها وتعكس

نظرتهم السلبية للمجتمعات التي ينتمون إليها بل وتفضح هوسهم ورغبتهم في التمرد عليها والانتقام من أنظمتها ومؤسساتها. وسنستعرض فيما يلي تحليلا موجزا لبعض العلامات التي تحمل في طياتها دلالات العنف والجريمة:

1-الوشم:

عرفه "سايمون وينر" (simone weiner) بأنه عملية نقش لرمز مرسوم على البشرة، فهو يمثل نوعا من الكتابة الدائمة لثباته على البشرة أو يمثل نوعا من الرسوم الزائلة كونه يعبر عن فترة محددة من الحياة، فهو يحدث خدشا وإصابة على الجسد بحيث يبرز على الجسم الرمز والصورة، أي أنه يتموضع ما بين تقاطع ثنائي يجمع بين الخيالي والرمزي " (فتيحة كركوش، 2015، صص358-356).

ويعد الوشم من العادات الإنسانية القديمة التي تعكس ثقافة المجتمعات، هويتها وانتماءاتها العرقية والحضارية، ففي الثقافة الأمازيغية على سبيل المثال اتخذت الوشوم كوسيلة لإبراز الانتماء القبلي والتعبير عن الهوية الثقافية، وقد كانت النساء الأكثر ميلا لاستخدامها وذلك لما تحمله من دلالات جمالية، وروحية.

بيد أن الوشم في عصرنا الحالي تجاوز كونه علامة ثقافية وجمالية ليستحيل وسيلة تعكس وعي الذات ومذركاتها، وتعد عن معتقداتها وانشغالاتها، كما قد اتخذته البعض أداة للتعبير عن الانتماء إلى جماعات محددة وعلى وجه أخص تلك الجماعات التي قرر أفرادها التمرد على النظم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، لذا أصبح ينظر لهذه الظاهرة الرمزية نظرة سلبية في معظم المجتمعات بما في ذلك المجتمعات الغربية، وقد أدى ارتباط الوشم بالتمرد والانحراف عن القيم المجتمعية إلى قيام "المكتب الفيدرالي FBI" بتأسيس برنامج " للتعرف على الوشوم الموجودة

على أجساد المجرمين لمعرفة لأي الجماعات أو العصابات الإجرامية ينتمون")
(<https://www.alarabiya.net/technology>)

فهذه العلامة التي اختارها البعض للتعبير عن آراءهم ومعتقداتهم وإن كانت نابعة عن رغبة فردية في التواصل و إثبات الذات، فهي تندرج ضمن ظاهرة العنف الرمزي والتي يسعى من خلالها المخاطب إلى إنتاج خطاب يستهدف كل مخاطب تقع عينه على الوشم، جاعلا من الألم الجسدي ضريبة لهذه الرغبة التواصلية العنيفة، ما جعل الوشوم ترتبط أكثر بفئة المجرمين والمنحرفين عن القيم والمبادئ الإنسانية وفي هذا السياق استنبط ر عالم الإجرام "سيزار لومبروزو" (cesare lombroso) ضمن نظريته التكوينية لتحليل السلوك الإجرامي "الصفات النفسية للمجرمين انطلاقا من الوشوم المتواجدة على أجساد هؤلاء فاستخلص منها أن المجرم كائن "ضعيف الإحساس بالألم فظ غليظ القلب، كما أنه حاد المزاج، ميت الشعور، نظراته قاسية، قليل الشعور بالخجل وتأنيب الضمير، لا يقدر عواقب الأمور، ميال إلى المقامرة وتعاطي المشروبات الكحولية، وهو ما يجعله يقدم على ارتكاب الجرائم دون مبالاة." (محمد رمضان، 2000، ص32)

ويتجلى ارتباط الوشم بالجريمة من خلال العديد من النماذج سواء ما تجسده المشاهد الدرامية أم ما توقه المعطيات الواقعية، فمعظم أفلام وسلاسل العنف والجريمة تظهر المجرمين وهم يحملون العديد من الوشوم على أجسادهم ما يعكس تمرد هؤلاء وتعصّبهم وانحرافهم السلوكي والأخلاقي، أما على الصعيد الواقعي فقد اشتهرت عصابات السجون والمافيا الروسية وعصابات أمريكا اللاتينية باستخدام وشوم تحيل إلى انتماءاتهم وتعرف عن تاريخهم الإجرامي، كما يظهر المتطرفون دينيا وفكريا على منصات التواصل الاجتماعي بأجساد مغطاة بالوشوم التي ترمز إلى معتقداتهم المتطرفة كالوشوم النازية والوشوم الماسونية وغيرها.

وفي الآونة الأخيرة كان الوشم سببا في شهرة القاتل الأمريكي "وايد ويلسون" (wade wilson) الذي ارتكب جريمة قتل عنيفة راحت ضحيتها امرأة في العقد الثالث من العمر وأخرى في عقدها الرابع، حيث أثارت الوشوم التي غطت وجهه انتباه كل من شاهد محاكمته، ما جعل العديد من المختصين يشغلون بتفسيرها، لتندرج هذه الواقعة ضمن قائمة الوقائع التي تثبت أن الوشم قد إستحال علامة تنتج خطابات حاملة لدلالات العنف والانحراف، أكثر من كونه علامة ثقافية أو جمالية.

حيث ينتمي الوشم إلى صنف العلامة الأيقونية التي تنبني فيها العلاقة بين الماثول وموضوعه على أساس المشابهة، فهي بالنسبة إلى بيرس " علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل صفات تمتلكها خاصة بها وحدها، فقد يكون أي شيء أيقونة لأي شيء آخر سواء كان هذا الشيء صفة أو كائنا فرديا أو قانونا ، بمجرد أن تشبه الأيقونة هذا الشيء وتستخدم علامة له" (قدور عبد الله ثاني، ص84). وتتمثل وظيفة العلامات الأيقونية في إعادة تمثيل الوقائع وفق مدركات منتجها، لتقوية مدركات وتصورات متلقيها بتسليط الضوء على زوايا معينة وإضافة وقائع جديدة لهذا النوع من العلامات، كما هو الحال في الصورة الفوتوغرافية أو الإشهارية أو التماثيل على سبيل المثال، علاوة على ذلك فقد تفتح العلامات الأيقونية المجال أمام السيرة الذاتية للتأويلية للإبحار في مضامين سوسيوقرافية قد لا تشكل فيها علاقة المشابهة بين الماثول وموضوعه سوى جانبا مضلا للمقاصد الفعلية من الخطاب الأيقوني، ففي قضية (ويد ويلسون) لا يمكن أن نكتفي بالدلالة الناتجة عن علاقة المشابهة بين وشم الخيط الممزق (الماثول) المحيط بفمه والذي قام بوشمه أثناء فترة تواجده في السجن، وموضوع التخلص من القيود المؤلمة، فنؤول ذلك بأن (وايد) يريد إرسال رسالة مفادها أنه قد كسر الحواجز المؤلمة وتخطى كل القيود التي منعتة

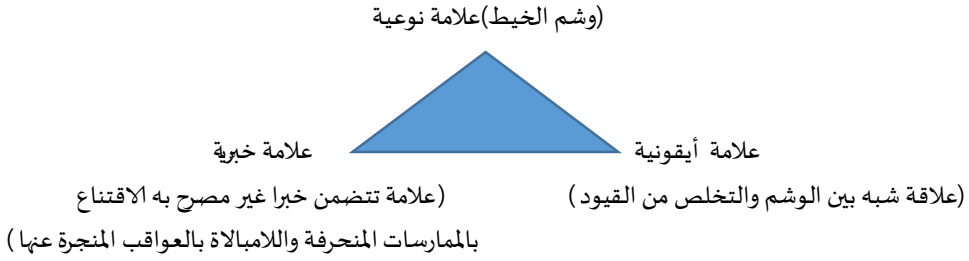
من فرض ذاته وبأنه قادر على الكلام والتعبير كيفما شاء، بل إضافة إلى هذا المعنى وبوصف النظام الإشاري لا يختلف في تركيبته البنيوية عن النظام اللغوي، حيث لا يمكن تفسير وحدة من وحداته بمعزل عن النسق الذي تنتمي إليه، يمكننا أن نلاحظ أيضا من خلال الاستعانة بإيماءاته الجسدية (الإكثار من حك الذقن، و كثرة اختلاج العينين، الميل برأسه إلى الخلف.) أن (وايد) كان في حالة من الملل واللامبالاة ولا يراوده أدنى شعور بتأنيب الضمير أو الخوف من العقاب، أو حتى الرغبة في الإفلات منه، واستمرت حالة اللامبالاة هذه حتى حين سماعه حكم الإعدام في حقه، ما يحيلنا إلى أن وشم الخيط الممزق قد يشير أيضا إلى أنه لا حاجة له إلى الكلام أو الدفاع عن نفسه كونه يشعر بالرضى التام عن أفعاله وأنه قد تكلم وعو عن كل ما يختلج نفسه من مشاعر الكره والرغبة في الانتقام من المجتمع بارتكابه لهذه الجريمة الشنعاء، فقد منح لنفسه حق التصرف في أرواح البشر ورفعها إلى مقام أرفع من المحاكمة و المسائلة، وما يدعم هذه الفرضية وشم خط الابتسام الذي يمنحه مظهرا باردا كما يكشف عن تأوّه بشخصية (الجوكر) تلك الشخصية الذي تتميّز بممارستها للشر المطلق، إضافة إلى لامبالاتها وعدم اكتراثها بالعواقب، واستخدامها لأسلوب السخرية والتهكم الذي يضفي عليها تمّيزا ويسهم في نشر مزيد من الحيرة والذعر والرعب لدى المشاهدين.

ويمكن أن نمّنج هذه العلامة تصنيفا أكثر تحديدا بوضعها في خانة العلامة (الأيقونية، النوعية، الخيرية)

فهي:

- 1-علامة أيقونية : لأنها تنبني على علاقة المشابهة بين الماثول (الخيط الممزق) وموضوعه(التخلص من القيود و التنفيس عن الرغبات المكبوتة).
- 2-علامة متفردة: لأن الماثول فيها يعتمد على خصائص بسيطة تجمعها بالواقعة الممثلة، (الخيط الممق).

3-علامة خبرية: فهي تحمل شحنة خبرية غير مصرح بها (اللامبالاة، التعبير عن الرضا والاقتناع بالممارسات المنحرفة، والسلوك غير السوي).
المثلث السيميائي:



عماداً على ما سبق فقد تشكلت هذه العلامة عبر سيرورة تأويلية فسرت حالة من حالات اصطدام الوعي لدى (وايد ويلسن) مع تجاربه في العالم الخارجي، والتي توضح لنا كيف لخص اختياره لهذا الوشم طريقة إدراكه لهذا العالم وتعامله مع الصعوبات التي تعترضه (مجموعة المشاعر السلبية و الصراعات النفسية التي تنشأ منذ مرحلة الطفولة) ومن ثم ربطها بالتجارب الثقافية التي يستعير منها ما يتماشى ومدرسته، لينتج في النهاية علامة (وشم الخيط الممق) التي وإن كانت في الأساس نتاج اتفاق جمعي منحها دلالة (التحرر) من القيود، إلا أن استخدامها من قبل (وايد ويلسن) ضمن السياقات التي سبق ذكرها، قد أضاف لها العديد من الرسائل التي تفصح عن مدرسته وأيديولوجياته وتعكس نمط تفكيره.



وايد ويلسن المصدر: موقع <https://www.google.com>

ومن هذا المنطلق يمكن أن نوجز أبرز دلالات العنف والجريمة التي ينطوي عليها خطاب الوشم في ما يلي:

1- يتضمن الوشم خطابا خبيا مؤكداً لفكرة المعو عنها باستخدام قناة الجسد ستكون أقوى من الفكرة التي تنقل بواسطة قنوات اتصال أخرى (كالتعبير الشفهي أو الكتابي مثلاً)، سواء أكانت فكرة إيجابية أم سلبية.

2- يضم خطاب الوشم تهديداً لكل متلق له (أي كل من تقع عينه عليه)، فمن عمد إلى إلحاق الضرر بجسده وتحمل شعور الألم لن يتوانى في إيذاء غيره إذا ما لزم الأمر (هذه نظرة سوسيولوجية وليست حقيقة مطلقة).

3- ثبات واستمرارية المعنى، فما يحمله الوشم من دلالات يعكس قنوات الوشم وأفكاره التي يؤمن بها ويعتزم إنتهاجها طيلة حياته، سواء كانت تلك القنوات سلبية أم إيجابية.

2- الاستعارة :

تنبني كل المفاهيم اللغوية أو الاصطلاحية أو الإجرائية للاستعارة على عبارة أوردها تيرنس هوكس في كتابه الاستعارة والتي مفادها أن " التغيير الطفيف في حقيقة الشيء تجعله في حالة استعارة " (تيرنس هوكس، 2016، ص11)، يحيلنا هذا المفهوم إلى أن هذه الظاهرة تنبني في الأساس على إعادة إنتاج الوقائع مع تزويدها ببعض التعديلات التي تعكس وعي وإدراك مستخدمها بالعام من حوله، ما يمنحها

بعدا أيقونيا يجعل من فهمها يتطلب حفرا في السيميوزيس الخاص بها للوقوف على ما تنتجه من دلالات غير مباشرة، فمن المجحف إذا أن نتغاضى عن دراستها بوصفها علامة، ونحصر تحليلها في الجانب اللساني، ما يجعلنا نؤيد-وبشدة- رأي "إمبرتو إيكو" (emberto eco) القائل بأن الاستعارة "وبالخصوص عندما يقع درسها في مجال اللغة، تعطي شعورا بالفضيحة في جميع الدراسات اللسانية، لأنها بالفعل آلية سيميائية تتجلى في جميع أنظمة العلامات، ولكن على نحو يحيل التفسير اللغوي إلى آليات سيميائية، ليست من طبيعة اللغة المستعملة في الكلام ويكفي أن نفكر في طبيعة صور الحلم التي غالبا ما تكون استعارية" (إمبرتو إيكو، 2005، ص236).

وبالنسبة لأصحاب النظرية المعرفية ينظر للاستعارة وغيرها من ضروب البيان بوصفها انعكاسا لمدرجاتنا وتصوراتنا عن الأشياء والمواضيع من حولنا، حيث تستحيل هذه الأدوات اللغوية وسيلة تتمكن بواسطتها من فهم أي موضوع في هذا العالم عبر الاستعانة بموضوع آخر يشترك معه في نقاط معينة، ما يجعل لكل نظام مجتمعي إستعاراته التي تعكس شيفراته وسننه السوسيوثقافية، فعلى سبيل المثال لكل استراتيجية عسكرية شعاراتها التي تتضمن استعارات تعبر عن أهدافها وتوجهاتها، وتوظف في الحروب استعارات يستخدمها الطرف الأقوى أو المبادر لإضمار أهدافه ومساعيه من وراءها، كما تستخدم النظم السياسة استعارات تعبر عن مبادئها ومرجعياتها الفكرية فتستعين بها على استمالة عقول الجماهير المستهدفة من خطاباتها. وللنظم التجارية والاقتصادية خطاباتها الاستعارية التي تستقطب من خلالها العملاء والمستهلكين وتستحوذ على ثقتهم، والشيء ذاته بالنسبة للخطابات الدينية والفنية والأدبية وما إلى ذلك.

وفي حياتنا اليومية بالتحديد أثناء العملية التواصلية، ينتج الأفراد العديد من الخطابات التي تتضمن استعارات تعكس أيديولوجياتهم وانتماءاتهم الفكرية والسوسيوثقافية بسلبياتها وإيجابياتها، ما نجم عنه تداول العديد من الاستعارات التي تجسد التعصب الفكري، العنف التطرف والعنصرية وما إلى ذلك سواء أكان ذلك بصورة واعية أم غير واعية. ففي المجتمع الجزائري توظف لفظة "حرفة" في بعض المناطق - للإشارة إلى الأعمال المضادة للقانون، فيقال مثلا "فلان عندو حرفة" أي أنه يسلك سبيلا غير قانوني لجني المال. وتنتهي هذه العبارة إلى صنف البيان بوصفها كناية عن موصوف (الأعمال والممارسات غير شرعية) حيث تتجلى خطورتها في تسليط الضوء على علاقة المشابهة بين الممارسات غير الشرعية التي تعد فعلا منافيا للقيم الدينية والمجتمعية، ومضادا للقانون، و(الحرفة) التي تشمل كل عمل يدوي شاق يبتغي به صاحبه رزقا حلالا وطيبا، فهذا التشبيه وإن استخدم على سبيل السخرية كون علاقة المشابهة بين الحرفة والممارسة غير الشرعية تنحصر فقط في مفهوم العمل والوظيفة، وما دون ذلك فهي علاقة تضاد، بين (الخير والشر، الحلال والحرام، القانوني واللاقانوني)، فهذا لا يحجب النية الخبيثة التي تتوارى خلف هذه الكناية والتي يرام من ورائها تزيين المشبه (الممارسات غير الشرعية) والتخفيف من حدة معانيه (المال الحرام، إلحاق الأذى بالمجتمع وأفراده ومؤسساته) وجعله أكثر قبولا لدى أفراد المجتمع.

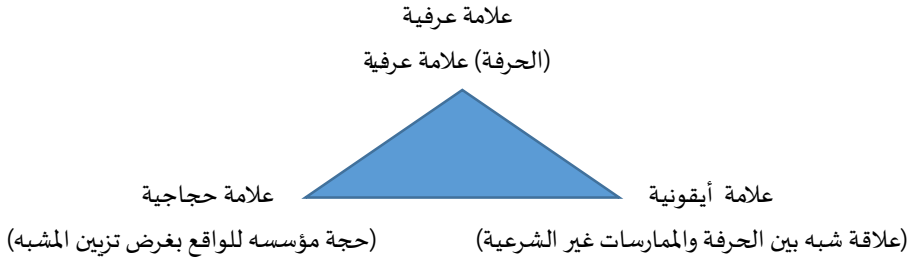
وتندرج هذه العلامة ضمن صنف العلامات (العرفية، الأيقونية، الحجاجية)، فهي:

1-عرفية: لاعتمادها على ماثول لغوي متواضع عليه من طرف جماعة معينة والمتمثل في لفظة (الحرفة).

2-أيقونية: تنبني على علاقة المشابهة بين الماثول (الحرفة) والموضوع (الممارسات غير الشرعية) فكلاهما وسيلة ينتهجها الفرد لجني المال.

3-حجاجية: تندرج هذه الحجة ضمن الحجج المؤسسة للواقع بواسطة التمثيل والتي تعرف على أنها " طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مرتبطة" (عبد السلام عشير، 2012، ص97). فعلاقة المشابهة بين الماثول وموضوعه بنيت في هذه العلامة على أسس متباعدة حيث يؤدي إدراك هذا التشابه إلى خلق تصورات جديدة حول الموضوع، فالممارسات غير الشرعية التي تتضمن عدة مفاهيم سلبية (البعد عن القيم الاجتماعية، البعد عن الدين، إلحاق الأذى بالغير، كسب المال الحرام) قد تضاف لها قيمة إيجابية مثل كون هذه الممارسة (تندرج في إطار الجِد والعمل والسعي لكسب الرزق) وهي قيمة إيجابية ستحظى بمقبولية لدى فئة من الجمهور المتلقي لها ممن ينتهجون منهج " الغاية تبرر الوسيلة".

المثلث السيميائي:



وهناك العديد من الأمثلة في مجتمعنا التي تثبت تأثير استخدام الرموز اللغوية على وعي وإدراك المتلقين لها، بل وتساهم في التطبيع مع العديد من الممارسات التي يرفضها الدين والمجتمع والقانون. ولنا في الألقاب التي يطلقها مروجي المخدرات والمدمنين على أنواع الحبوب والأقراص المهلوسة مثالا حيا على ذلك، حيث لعبت هذه الألقاب دورا كبيرا في تفشي ظاهرة الإدمان لدى الشباب والمراهقين على وجه

أخص، فعلى سبيل المثال : (البيضة والشيرة، الحلوى، مدام كوراج، الصاروخ) كلها أسماء براقعة ومغالطة تحجب الضرر التي تسببه هذه المواد وتسقط الضوء على الفوائد الوهمية التي تقلمها هذه الأقراص، ما يجعل من هذه العلامة طرفا متواطئا في هلاك العديد من شبابنا ومراهقيننا.

عمادا على ما سبق فمن أبرز دلالات العنف والجريمة في الاستعارة وشتى أنواع البيان:

1-المساهمة في اضممار الأضرار الفعلية للعديد من الممارسات والسلوكيات المحضورة وتجميلها.

2-إنتاج خطابا ت مغيبة للوعي والإدراك، ومحفزة على ممارسة الجريمة.

3-اللباس:

"يعتقد أحد علماء الاجتماع (becker) أن السلوك المنحرف لا يحدد بالضرورة معنى الانحراف بحد ذاته بل عوامل أخرى تراكمية قد تسهم في ذلك مثل طريقة ارتداء الملابس أو أسلوب الحديث أو الموطن الأصلي" (أنتوني غدنز، ص287). و في إطار مقاربتة الدلالية أولى "رولان بارث" (roland barthes) عنايته بجميع الأنظمة الدالة أين جعل من العلامة كيانا شاملا لكل أشكال التعبير الثقافي. ويعد اللباس أحد أهم الأنظمة الثقافية التي عمل بارث على إستنطاق أبعادها الدلالية والتنقيب عما تنتجه أبنيتها من دلالات تحيل إلى سلسلة من النظم والشفيرات السوسيوثقافية ومجموعة من القيم الحضارية والأخلاقية والدينية التي يضمها هذا النوع من الخطاب. إذ يجسد اللباس المرتدى -حسب رولان بارث و تروبتسكوي من قبل ذلك - الفرق التقليدي بين اللسان والكلام إذ " يتكون اللسان اللباسي من 1- تعارض الأثواب أو القطع أو "التفاصيل" التي يؤدي التنوع فيها إلى تغيير في المعنى 2-القواعد المتحكمة في في الجمع بين الأثواب سواء على طول الجسم

أم حسب الكثافة، ويشمل الكلام اللباسي كل وقائع الصناعة الفوضوية للألبسة أو وقائع الارتداء الشخصي" (رولان بارث، 1987، ص53).

ففي المجتمع الجزائري على سبيل المثال تجاوز الزي الرياضي المكون من البدلة الرياضية (لاكوست LA COSTE) والحذاء الرياضي (NIKE TN AIR MAX) المعروف ب(لاريني) دلالاته الأولانية والمتمثلة في كونه تلك الكسوة التي تستر الجسد، ودلالته الثابانية التي تجعل منه لباسا دالا على القيام أو الشروع في القيام بنشاط يمارسه الفرد (المرتدي) والمتمثل في (الرياضة)، إلى دلالة ثابانية جعلت منه علامة تختص بها فئة محددة. ويعد الزي الرياضي بصفة عامة وحدة تنتمي إلى اللسان اللباسي الخاص بالمجتمع الجزائري بينما تندرج مجموع الاختيارات التي تتضمن (نوعية اللباس وعلامته التجارية وكيفية ارتدائه، تنسيقاته ألوانه، طوله، قصره... إلخ) ضمن خانة الكلام أو الخطاب اللباسي (ما يسمى بالارتداء) الذي يؤديه كل فرد من أفراد المجتمع وفقا لتصوراته الخاصة، النظام الثقافي والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أضف إلى ذلك سياقات ومقامات الارتداء المختلفة.

من هذا المنطلق إتخذت فئة من المجتمع الجزائري يطلق عليها " أصحاب الرجلّة" من البدلة الرياضية (لاكوست) والحذاء الرياضي (لاريني) علامة عرفية ورمزا يعكس إنتمائهم إليها، وهنالك العديد من التقارير الصحفية التي أجرتها بعض القنوات الوطنية حول علاقة هذا الزي بفئة أصحاب الرجلّة كتنقيب قناة "رؤية الجزائرية" (vision tv-news) الموسوم بـ " قصة أصحاب الرجلّة مع لاكوست ولاريني" والذي رصد آراء مجموعة من الشباب والمراهقين حول علاقة هذا الزي بالرجولة وكذلك بالممارسات اللاأخلاقية (ينظر: <https://www.youtube.com>)، كما قامت قناة "النهار الجزائرية" (Ennahartv) بنشر تقريرها الموسوم بـ " لاكوست ولاريني" هوس الشباب الجزائري رغم غلاء أسعارها" والذي عالج موضوع هوس

الشباب الجزائري باقتناء هذا الزي وعلاقته بأصحاب الرحلة. (ينظر: <https://www.youtube.com>) وكان موقع "الشروق أونلاين" قد نشر مقالة بعنوان "شباب بطالون يرتدون ملابس رياضية قيمتها 5 ملايين" والذي تضمن إشارة حول ربط الشباب الجزائري زي (لاكوست ولايني) بصفة الرحولة هذه الأخيرة التي تعد سببا هلما في الإقبال على إقتنائه رغم أسعاره الباهظة. كما تناولت العديد من الأعمال السينمائية الجزائرية والمشاهد الدرامية هذه الظاهرة، إذ غالبا ما يتم ارتداء هذه البدلة حينما يتعلق الأمر بمشهد تمثيلي لمروج مخدرات أو لص أو شخص ينتمي لفئة أصحاب الرحلة، ما يضيف على المشهد أكثر واقعية ويجعله أقرب إلى المجتمع الجزائري، وهذا إن دلى على شيء فإفما يدل على تغلغل هذه العلامة في الخطاب اللباسي الجزائري.

ويمكن تصنيف الزي الرياضي (لاكوست ولايني) ضمن فئة العلامات (العرفية، الرمزية، الخيرية) فهي:

1-عرفية: لأنها نتاج إفاق فئة من المجتمع الجزائري التي إختارت من سلسلة وحدات اللسان اللباسي (البدلة الرياضية من العلامة التجارية LA COSTE و الحذاء الرياضي من العلامة التجارية (NIKE TN AIR MAX) المعروف ب(لايني) علامة تحيل إلى تصورات ومعتقدات المنتمين إليها.

بيدها في هذه الحالة يمكن أن يشكل هذا الزي لسانا دون كلام أو بتعبير أدق "لسانا محدودا بكلام محدود" فهو يشترك مع النظام اللغوي في أن هذا الأخير نتاج إفاق جمعي بين أفراد المجتمع، إلا أن الخيارات المتوفرة ضمن اللسان اللباسي لأصحاب الرحلة جد محدودة، وهذا ما سيؤي في كثير من الأحيان إلى أداء فردي (واقعة ارتداء فردي، كلام) محدود، ولنوضح الأمر أكثر يمكن القول بأن ذلك شبيه باستخدام مجموعة من الأفراد عبارة (أريد الماء) للتعبير عن الغضب، فتجد كل فرد من هذه المجموعة يورد هذه العبارة للتعبير عن غضبه في سياقات مختلفة ليعلن

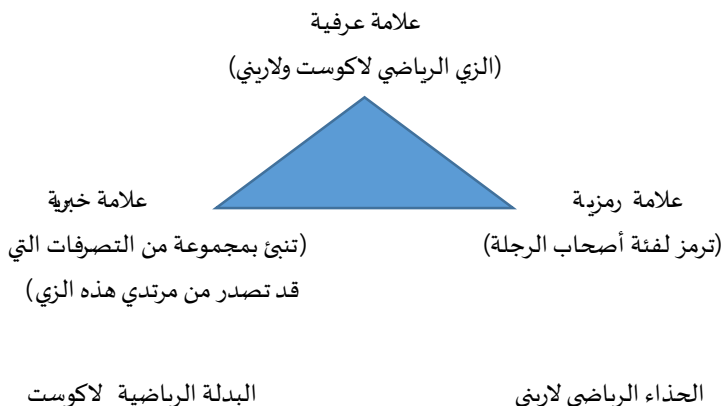
بذلك عن إنتمائه لهذه المجموعة، وهذا ما لا يمكن حدوثه في النظام اللغوي، حيث يرى رولان بارث " أنه " حسب الخطاطة الصوتية يستحيل وجود اللسان بدون كلام لكن الذي يجعل الأمر مستساغا هنا، هو من جهة كون لسان الموضة لا ينبثق عن جمهور المتكلم، وإنما عن فئة تقبض بيدها على زمام القرار، وتبيئ الشفرة تبعا لهواها" (رولان بارث، 1987، صص 51، 50). والشيء ذاته بالنسبة لزي (لاكوست ولاريني) فهو شفرة مثق عليها من طرف جماعة محددة أرادت أن تخلق لنفسها لغة خاصة جعلت منها فئة منفصلة عن المجتمع الجزائري بيد أن الاختلاف بين لباس الموضة وهذا الزي أن الكلام في لباس الموضة فردي لأن العارضة لوحدها من تؤدي واقعة الارتداء ما يعني الناطق الوحيد بهذا اللسان، وهذا ما أطلق عليه بارث "الكلام اللسني" (ينظر: رولان بارث، 1987، ص 59)، بينما تعتمد فئة من المجتمع ارتداء زي (لاكوست ولاريني) بوصفه علامة تحيل إلى معتقداتها ما يقطص من دائرة الاستخدام (الكلام أو الارتداء) فالمتكلم (المرتدي) ينطق فقط بلسان أصحاب الرحلة، هذا اللسان اللباسي الذي يتميز بمحدودية اختياراته وتنوعاته (قميص، بدلة رياضية كاملة، سترة، تيشيرت، سروال رياضي، حذاء رياضي) تحمل جميعها علامة (لاكوست، أو لاريني)، في حين لو ارتدى شخص آخر علامتي (لاكوست ولاريني) التي اختارها من اللسان اللباسي الجزائري الذي يتضمن مجموعة جد كبيرة من الاختيارات والتنوعات من مختلف العلامات التجارية، فإنه بذلك يكون قد تكلم لسانا لباسيا جزائريا يختلف في تأويله عن كلام فئة أصحاب الرحلة، فليس بالضرورة أن ينتمي شخص لهذه الفئة بمجرد أنه قد اختار في يوم من الأيام أن يرتدي هذا الزي الرياضي.

ورغم أهمية الأطروحة البارثية التي وضع من خلالها أن اللباس اليومي أكثر تجسيدا لثنائية اللغة الكلام إلا أنها لم تتطرق لمثل هذه الحالات، التي تستحيل فيها علامة اللباس اليومي لغة محدودة تؤدها فئة محدودة.

2-رمزية: حيث ترمز هذه العلامة العرفية إلى فئة من المجتمع الجزائري شكت مجتمعا خاصا بها فبمجرد أن تقع أعيننا على شخص يرتدي هذا الزي، ستنبي في أذهاننا مجموعة من التصورات والاحتمالات التي تفضي بأنه قد ينتمي إلى هذه الفئة، وأي شخص لا ينتمي إلى (أصحاب الرجل) كأن ينتمي مثلا إلى الطبقة المثقفة: دكتورا جامعي، طبيباً أو مهندسا مثلا، إذا ما أراد أن يرتدي هذا الزي فليس من المستبعد أن يقابل بشيء من الرفض أو يثير بعض التساؤلات لدى أبناء طبقتهم، وفي بعض الأحيان يمكن أن يلقى معاملة مختلفة قليلا عما اعتاد عليه، وذلك أثناء تواجده في بعض الأماكن العامة كالمطاعم الفاخرة، والمؤسسات الجامعية وكذلك الأماكن الشعبية والأسواق. ويتباين هذا الاختلاف في المعاملة بين السلي والإيجابي وهذا ما يحدده الجمهور المتلقي لهذا الخطاب اللباسي.

3-خبرية: تعد هذه العلامة خبرا يحيل إلى سلوكيات ومعتقدات طبقة من المجتمع الجزائري يطلق عليها أصحاب الرجل، والتي تتميز بمحاولتها إظهار صفات القوة والشهامة والرجولة والثقة بالنفس التي تضرر خلفها العديد من السلوكيات السلبية كالتعصب للأفكار والانتماءات خاصة الكروية، ومحاولة أخذ الحق بالقوة وفي أحيان كثيرة بطرق غير قانونية، كما يهتم بعض المنتمين لهذه الفئة بممارسة أعمال غير مشروعة كالسرقة وتر ويج المخدرات، وقطع الطريق وما إلى ذلك (ينظر: صالح زعرور <https://www.echoroukonline.com>)، ما يعكس نمط حياتهم الذي يشمل العنف والجريمة والتمرد على المجتمع وقوانينه (هذه نظرة اجتماعية لا تعكس حقيقة مطلقة فينبغي التنبيه إلى ذلك).

المث السيميائي:



المصدر: موقع <https://www.google.com>



المصدر: موقع <https://www.google.com>

عمادا على ما سبق يمكن أن نوجز أهم دلالات العنف والجريمة التي تنتجها البدلة الرياضية لاكوست والحذاء الرياضي لارينني فيما يلي

1- ينتج هذا الزي الرياضي خطابا يتضمن دلالات الخروج عن القيم المجتمعية والانتماء إلى فئة لها قوانينها ومعتقداتها الخاصة بها وبالتالي قد يصعب على بعض الأفراد الذي لا ينتمون إلى هذه الفئة من المجتمع توقع سلوكيات وردود أفعال من يرتدي هذا الزي، بخاصة إذا لم تكن لهم معرفة مسبقة بشخصه.

2- يتضمن خطابا تهديديا، فبمجرد أن تقع عينك على مجموعة من الشباب أو المراهقين يرتدون أحذية لاريني و بدلة لاكوست ستشعر بالريبة تجاههم، في حين إن حدث ورأيت مجموعة أخرى من الشباب والمراهقين يرتدون بدلا رسمية على سبيل المثال، أو حتى بدلا رياضية من علامات تجارية أخرى لن يراودك الشعور ذاته وسيبدو الأمر طبيعيا بالنسبة إليك(هذه نظرة اجتماعية محض ولا تعر عن حقيقة مطلقة).

هذا الامتداد للعلامة في صلب الحياة الاجتماعية، وارتباطها الوثيق بدلالات العنف والجريمة خلل للمقاربة السيميائية أن تشكل طرفا في العديد من التخصصات البينية على غرار (السيميائيات النفسية، السيميائيات الاجتماعية، السيميائيات الحيوية... إلخ)، وليس القانون بوصفه "مجموعة القواعد الملزمة التي تنظم علاقات الأشخاص في المجتمع" (أمبارك بن مصطفى، 2022، ص2) بغافل عن الاستفادة من أدوات هذه المقاربة، فقد ظهرت في الأدبيات العلمية الحديثة دراسات -وإن كانت قليلة- تعنى بالبحث في إمكانية توظيف أدوات المنهج السيميائي في الميدان القانوني عامة، والميدان الجنائي على وجه أخص، وذلك بوصف العلامة جزءا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي الخاضع لسلطة القانون. فبينما يستخدمها أفراد المجتمع للتعبير عن هوياتهم ومذركاتهم واختزال حضاراتهم ومعتقداتهم، يمكن للقانون أن يستعين بنظريات العلامة لتأويل نصوصه والحفر في أنساقها الدلالية، كما يمكن أن يتعامل مع العلامة بوصفها دليلا إشاريا يسهم في حل ألغاز الجرائم التي تؤرق دورا في حياكة تفاصيلها.

4-نشأة سيميولوجيا الجنائية:

يمكن أن نعرف السيميائيات الجنائية بأنها أحد التخصصات البينية ولید التداخل المعرفي بين المقاربة السيميائية والميدان الجنائي، حيث ألى الانفتاح القانوني على ميدان علم اللغة بشق فروعه ومقارباته إلى ظهور أبحاث ودراسات

تهدف إلى بيان أهمية وكيفية استثمار أدوات التحليل السيميائي في ميدان التحقيق والإثبات الجنائي، منذ الاتصال الأول بخدمة الطوارئ، إلى غاية إثبات تهمة ما أو نفيها.

وعلى الرغم من قلة الأبحاث المكرسة لهذا التخصص الناشئ، فقد ظهرت في الآونة الأخيرة دراسات تروم تحليل العلامة بوصفها أداة مساعدة في الكشف عن خبايا الجريمة، وسنكتفي في هذه الورقة البحثية بالتطرق –وبشكل موجز- إلى محاولة السيميائي الإيطالي "مارسيل دانيسي" (marcel danesi) الذي يعد في الوقت الراهن المؤسس الفعلي وواضع الحدود المنهجية والأدوات الإجرائية لهذا العلم. وفي إطار سعيه لوضع تخصص السيميائية الجنائية ضمن إطاره المفاهيمي والتطبيقي، ميز دانيسي بين درجتين منها، حدد من خلالهما مفهوما شاملا لهذا التخصص ورسموا واضحا لحدوده المنهجية والإجرائية.

- السيميائية الجنائية من الدرجة الأولى (FS1):

تسعى هذه الدرجة من السيميائية الجنائية إلى تحليل العلامة بوصفها بصمة إشارية يمكن أن تساهم في فك لغز قضية معينة، وقد وقفنا في الفقرات السابقة على ما تنتجه العلامات من دلالات تحيل إلى جملة من النظم والأنساق السوسيوثقافية، هذه النظم قد تستحيل بصمات تحيل إلى هوية مستخدميها وخطابا يفضح خلفياتهم الإدراكية ومقاصدهم التي قد تضررها ألسنتهم، ما قد تستغل التحقيقات الجنائية في فضح تورط شخص ما في جريمة اتهم بارتكابها أو المشاركة فيها.

كما تعنى هذه الدرجة من السيميائية الجنائية بالربط بين الرموز والعلامات التي يخلفها المجرمون في مسرح الجريمة والتي قد تشكل على تراكمها مجموعة قرائن يمكن أن تتطور إلى أدلة إثبات أو نفي لتهمة ما، ما يجعل الاستعانة بالمحلل

السيميوجنائي ضرورة ينبغي أن يتفطّل لها الميدان القضائي حتى نتفادى التحليل الخاطئ لعلامات الجريمة، حيث يرى مارسيل دانيسي أن الهدف الأساسي من السيميائية الجنائية من الدرجة الأولى " تقديم رؤى محددة حول الأدلة التي جمعها علماء الطب الشرعي لمساعدتهم على فك تشفيرها من منظور تكميلي ويمكنها أيضا أن تساعد المحققين على فهم كيفية استخدام تعابير الوجه والإيماءات واللغة وما إلى ذلك للتعرف على الخداع وتحديد الجناة" (marcel danesi, 2014, p27)

السميائية الجنائية من الدرجة الثانية (FS2):

أورد مارسيل دانيسي في كتابه "علامات الجريمة مدخل إلى السيميائيات الجنائية" (sign of crime introducing forensic semiotics) " أن الطريقة الأساسية الثانية التي يمكن من خلالها استخدام السيميائية في دراسة الجريمة هي المساعدة في قياس العلاقة بين الجريمة والتصور الخيالي لها، والتعاريف والتصورات الثقافية للجريمة" (marcel danesi, 2014, p27)

وتتمحور هذه الدرجة من السيميائية الجنائية حول فكرة المحاكاة، حيث يرى مارسيل دانيسي أن أفلام وروايات الغموض والجريمة وحتى الأعمال الفنية التي تعالج هذه المواضيع في قوالب كوميدية، يمكن أن تؤثر -في بعض الأحيان- على تفكير الجماعات المتطرفة وفئات المراهقين والشباب المتهور في مجتمع ما فتجدهم يعزرون عن تأوهم بشخصيات إجرامية معينة، من خلال الوشوم والألقاب التي يلقبون بها أنفسهم أو غيرهم، لتستحيل هذه العلامات خطابا ضمينا يحمل دلالات تقلب السلوك الإجرامي والاقتداء بالمنحرفين والمجرمين.

وفي مجتمعنا يمكن رصد العديد من الأمثلة التي تجسد هذه الفكرة، حيث تعد سلسلة "اللاز" التي عرضت على قناة الشروق الجزائرية مثالا على تأو العديد من الشباب الجزائري خاصة فئة المراهقين بشخصية "اللاز" التي جسدها الممثل الجزائري المعروف "نبيل عسلي"، أين قاموا بتقليد حركاته وتقمص أسلوبه في

الحديث واستخدام عباراته الشهيرة (الباصي باصي وحنا ذهب ماشي كاصي، الباصي باصي وحياتي نظراسي...) في حياتهم اليومية وكذلك على منصات التواصل الاجتماعي (تيكتوك (tik tok) وفيسبوك (facebook)). وقد ساهمت هذه السلسلة في التطبيع مع العديد من السلوكيات السلبية التي تتعارض مع القيم الاجتماعية والأخلاقية، كمشهد استبدال بطة السلسلة (ربيعه) بأحد الشخصيات في العمل (العبيسي) وهروبها مع حبيبها يوم زفافها، ثم مواصلة حياتهما داخل الحي الشعبي اللذان ينتميان إليه بصورة عادية. وربما ليس من باب الصدفة أن يتصدر عنوان "هروب عروس ليلة زفافها مع عشيقها إلى تونس العاصمة يتسبب في وفاة والدة العريس من الصدمة" (ينظر: <https://medianews.bio>) المواقع الإلكترونية في ذات السنة التي عرضت فيها السلسلة (صيف 2024).

كما قد تشكل طريقة ارتكاب جريمة ما علامة أيقونية يمكن أن توجي للمحقق بلأن الجاني متأثر بجريمة تم عرضها في أحد الأفلام السينمائية أو في أحد برنامج الواقع، فتجده يحاكي العديد من تفاصيلها أثناء ارتكابه جريمته الخاصة. وفي هذا السياق يمكننا الاستدلال بالمسلسل المصري "ريا وسكينة" الذي يحاكي قصة واقعية تعود تفاصيلها إلى بداية العشرينيات من القرن الماضي، حيث تسرد أحداث المسلسل قصة سفاحتين مصريتين ارتكبتا سلسلة من جرائم القتل في حق مجموعة من النساء بعد استدراجهن إلى منزلهما، والقيام -بمساعدة شركائهما في الجريمة- بدفن الجثث داخل المنزل الذي تعيشان فيه، ثم ممارسة حياتهما بشكل طبيعي (ينظر: ريا وسكينة <https://ar.wikipedia.org>).

فقد تأثر العديد من مرتكبي جرائم القتل في العالم العربي -خاصة فئة النساء- بكيفية تخلص السفاحتين المصريتين من الجثث، وتعتبر الجريمة الموسومة بـ"حمام الدم" التي عرضها برنامج الواقع "لغز الجريمة" عبر قناة الشروق

الجزائرية إحدى الجرائم التي حاكت فيها الجانية طريقة تخلص السفاحتين المصريتين من الجثث. حيث تدور تفاصيل هذه الجريمة حول امرأة من ولاية سكيكدة قامت بقتل زوجها ودفن جثته داخل حمام منزلها. فبعد أن عجز المحققون وعائلة الضحية عن الاتصال به أو التوصل إلى أي معلومات حول مكان تواجده، عثر على جثة مقطعة إلى أشلاء ومدفونة داخل الحمام الخاص بالمنزل الذي تقطنه الجانية. والغريب أن هذه الأخيرة كانت تمارس حياتها اليومية بشكل طبيعي لدرجة أنها احتفلت بنجاح إبنتها في شهادة البكالوريا داخل هذا المنزل (ينظر: حمام الدم <https://www.youtube.com>)

وتجسد هذه الدرجة من السيميائية الجنائية مجموع التصورات والمفاهيم التي أضافها أمبرتو إيكو على مفهوم العلامة الأيقونية لدى شارل ساندرس بيرس، حيث يرى إيكو أن "العلامة الأيقونية لا تتوقف عند هذا الحد (أي التشابه بينها وبين الشيء المشار إليه) فقط بل تتجاوز العلامة المادية إلى إدراكها بالحواس والتي تفضي بها إلى علاقة ذهنية تقوم على الفكر والثقافة، لأن التشابه لا يقوم على القرائن المادية بل هناك قرائن ثقافية فكرية سابقة ناتجة عن ممارسات وعلاقات ثقافية بينهما" (قلور عبد الله ثاني، ص 84).

وفي العديد من الدول التي أدرك المختصين فيها أهمية الربط بين الجريمة وتصوراتها الثقافية والخيالية تساهم برامج الواقع والوثائقيك في مساعدة المحققين على كشف تفاصيل الجرائم عبر تفعيل التعاون بين الجنايات ووسائل الإعلام، وذلك بنشر آخر مستجدات القضايا التي لم يتوصل إلى حلها بعد، ما يجعل المشاهد شريكا فاعلا في عملية التحقيق، كما تحظى المحاكمات المعروضة على شاشة التلفاز والتي تتضمن قضايا رأي عام باهتمام جماهيري واسع (محاكمة أوجيه سيمبسون، وايد ويلسن، سفاح التجمع، وما إلى ذلك).

كل ما سبق يمكنه أن يجعل من المجرم (المملئ أو الواقعي) رمزا من رموز الشر في أعلى تملاته. فهو وإن بدا فردا عاديا من أفراد المجتمع، إلا أنه بالنسبة إلى فئة كبيرة منهم كائن غير عادي وعلامة تحمل العديد من التصورات السوسيوثقافية. ما قد يمنحها قوة تأثيرية إيجابية كانت أو سلبية. وفي هذه السياق يقول دانيسي " في الواقع، ينظر إلى المجرمين ويصهرون على أنهم "الآخرون". إنهم "الخطاة" في عصرنا الحديث، الذين تم تهميشهم بسبب أفعاله الشريرة. وفي هذا المجال يمكن أن تساعد السيميائيات الجنائية (FS2) علم الجريمة في دراسة هذه التصورات" (marcel danesi ,2014,p29)

عمادا على ما سبق تصبح الجريمة بوصفها علامة أيقونية مؤسسة على فكرة تشابه الأفكار والثقافات إحدى الحلول التي يمكن للعدالة أن تستثمرها في ميدان التحقيق الجنائي من خلال دراسة العلاقة بين الجريمة وتصوراتها الخيالية والثقافية.

5-الخاتمة:

إن إمتداد العلامة في صلب الحياة الاجتماعية جعل منها أداة فاعلة في التأثير على أفرادهِ وتوجيه سلوكياتهِم، فهي القالب الذي يحفظ ثقافتهم معتقداتهم ومدركاتهم الإيجابية منها والسلبية، ولا يقتصر الأمر على الحفظ فقط، حيث تعد العلامة قناة تواصلية لها من المرونة والسلاسة ما يمكنها من نقل الأفكار وتمير مختلف الأيديولوجيات، لتستقر في الأذهان فتصلقها الأقوال وتجسدها الأفعال. فمن البداية إذا أن تكون لكل ظاهرة اجتماعية سواء كانت إيجابية أم سلبية علاماتها التي تتكلم عنها، على غرار ظاهرة العنف والجريمة، التي تنتج العديد من العلامات الحاملة لدلالات التطرف والانحراف السلوكي والأخلاقي، والتي تساهم بشكل كبير في زيادة تغلغل هذه الظاهرة وانتشارها.

وعلى هذا الأساس ظهرت العديد من التخصصات البينية التي تهدف إلى دراسة العلامة بوصفها جزءاً لا يتجزأ من الوعي الإنساني وإدراكه لذاته وللعالم من حوله، على غرار السيميائية الجنائية التي تسعى إلى دراسة العلامة بوصفها بصمة إشارية تحيل إلى هوية مستخدمها، وتعكس تصوراتهِ الثقافية وخلفياتهِ الفكرية، لتستحيل دليلاً جنائياً يمكن أن يساهم في إثبات جرم قد ارتكبه أو تبرئته من تهمة قد نسبت إليه.

في ضوء ما تقدم نخلص إلى مجموعة من التوصيات نوجزها فيما يلي:
-تكثيف الأبحاث المتعلقة بدراسة دلالات العنف والجريمة في العلامة الاجتماعية، وتقديم حلول تحد من هذه الظاهرة التي تؤثر سلباً على تصورات ومدركات الأفراد وتوجه سلوكياتهم.

-إنشاء حملات توعوية حول خطورة بعض العلامات وتأثيرها السلبي على وعي وإدراك الفئات المستهدفة.

- عقد مؤتمرات وندوات علمية تعالج موضوع ضرورة الاستعانة بالمحقق السيميوجنائي في الميدان القضائي.
- فتح تخصص السيميائيات الجنائية في كليات اللغة واللسانيات والحقوق.
- عقد أيام دراسية مشتركة بين اللسانيين والقانونيين تبحث إمكانية إدراج العلامة بوصفها دليلا جنائيا.
- تسليط الضوء على ضرورة الاستعانة بمختلف العلامات (إشارات جسدية، لباس، استعارات، وشوم،...) أثناء عملية التحقيق والاستجواب.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- 1- أمبرتو إيكو، (2005) السيميائية وفلسفة، اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، ط 01، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.
- 2- أمبارك بن مصطفى (12/4/2022): اللسانيات القانونية دراسة في المفهوم والمجال، مجلة العلوم القانونية، مجلد 7، العدد 4، ص (492.480).
- 3- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: الكتور فايز الصياغ، ط 4، لبنان، المنظمة العربية للترجمة.
- 4- تيرنس هوكس (2016) الاستعارة، ترجمة: عمرو زكريا عبد الله، ط 01، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- 5- رولان بارث (1987) مبادئ في علم الأدلة، ترجم: محمد البكري، سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع.
- 6- سعيد بن كراد (2012) السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط 3، سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع.
- 7- فتيحة كركوش (2015)، مدخل أنثربولوجي لممارسة الوشم، (مجلة العلوم الإنسانية)، المجلد 4، العدد 4.
- 8- قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة مغامرة في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع.
- 9- عبد الله بريسي (2010)، السيرورة التأويلية في هرمينوسيا هانس جورج غادامير وبول ريكور، ط 1، دار الثقافة والإعلام.
- 10- عبد السلام عشير (2012) عندما نتواصل نغزو-مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج- ط 2، المغرب، أفريقيا الشرق.
- 11- محمد رمضان بارة (2000)، مبادئ علم الإجرام

المراجع الأجنبية:

marcel danesi, signs of crime, introducing forensic semiotics, Germany, de gruyter, 2014-1

المواقع الإلكترونية:

- 1- جديد الفبي قراءة وشوم المجرمين، 03/جوان/2016، 15/جوان/2024، <https://www.alarabiya.net/technology>
- 2- هروب عروس ليلة زفافها مع عشيقها إلى تونس العاصمة يتسبب في وفاة والدة العريس من الصدمة، 07/أوت/2024، 1/جانفي/2025، <https://medianews.bio>.